

ثلاثت أزمان في زمن واحد أحمد المديني

على صعيد السلطة النظرية، المحيطة أكثر. وهي باسم الدفاع عن مبادئ مبهضة، اصلاً، على مستوى التنظير وزعم التطبيق النقدي، تقع فريسة تناقض ماساوي يظل النص المطلوب المنشد الأصل، منفلاً منه حتى ولو وجهت إليه كل سهام والضغائن.

والقضية في جذرها، أكبر من مجرد رصد او توضيح ممارسة نقدية او تعامل على العرفية النقدية، كما قد يجيل الى البعض، بقدر ما هي في احد وجوها التي تتعلق بنا نحن ذات اتصال وثيق بالبنية الثقافية السلطوية، في عمومها، وهي البنية التي استكملت تراكمها وتعفنها في آن، ولكنها، رغم كل شيء، ما عادت لانصاف ذاتها بالقطيعة مع ذاتها، اي مع الممارسة النظرية، الأحادية البعد، التي تقسم العالم الى تلك الثنائية العجيبة الممهشة: الخير والشر - الايجاب والسلب، شأنها في ذلك شأن تقسيم النص الابداعي الى شكل ومضمون - ذات وموضوع وما بالنا لا نذهب بعيداً ونقول يساراً ثم يساراً متطرفاً، وكأن من الممكن في اليسار أن يقع الترتيب والتصنيف. انتبهوا جيداً لهؤلاء المخادعين البلهاء الذين يرقصون على حبال الكلمات - فما اسهل الكلمات!

لا اريد ان اتعب منذ البداية وان كان كل هذا اكثر من عبي علي انا منساق اليه بالرغم مني ومن مستلزمات الكتابة (الموضوعية) انتبهوا جيداً فالوضوعية، أه، هذا القفاز والقناع وما لست ادري ايضاً، صالح لكل زمان ومكان، لا بد ان يرد في كل تحليل واي تحليل. لا اريد ان أتعب بالخوض في ما خاضت فيه الذاكرة العربية بدءاً من الطهطاوي ووصولاً إلى العروي ودائرة الاشباح التي طافت بهم، ولكن ما يعنيني - واقول هذا علماً بانني ارفض كل اللثغ النقدي، بدءاً من تلامذة انور الجندي وشوقي ضيف ووصولاً إلى من دنسوا البيت الحرام لرولان بارت - شومسكي - جولدمان ولوكاتش نفسه، ومعدرة لهؤلاء، جميعاً، فهم قد ظلموا في زمن النقد العربي - المغربي - ما يعنيني، اقول، كما ينبغي ان يعنيكم هو الوصول الى هذا الشيء اللاجرب، المحفوف بكل المخاطر والمعرض لكل الغزوات. ما اصعب ان نكتب منذ اليوم باللغة العربية والعقلية العربية والهزائم العربية، ما اصعب، ولذلك ليس شيئاً عجيباً ان يعلن جمعه اللامي الطلاق

تكسي هذه المناظرة، ولا شك، أهمية استثنائية لأنها تجمع، أولاً، مجموعة من الروائيين والنقاد النابيين، ولكونها تدرج في تقليد جدي وجديد يريد اتحاد كتاب المغرب أن يكون، من الآن، منهاجاً ينبغي أن يحتذى ويعوض الثروة والتظاهرات الضوئية المرسة التي تعقد هنا وهناك في الوطن العربي باسم الثقافة والادب، وبشئ الشعارات، الممكنة والمستحيلة! منهاجنا، اذن، هو اللقاء على مدار قضايا الابداع والشواغل والهواجس الثقافية والاجتماعية المتصلة به، وبما يحقق الفعالية الفكرية ويحكك المسائل النظرية في حقل الابداع الروائي، والتي، كثيراً ما تعرضت أما للقفز فوقها بكل بساطة، او عولجت من منظورات صنيعة، تبسيطية، وفي غالب الاحيان سجيعة رصد ماضوي يكرس الجمود مثلما يشذ اسلحته الارهابية على كل نص ابداعي.

ومن ثم، فمن منطلق النقاش النظري التحليلي نصبح ملزمين ومحكومين ان كنا نريد ان نكون في مستوى صيغة الابداع، ان نلتقي في افق واسع بعيداً عن الزنازن النقدية الصدئة، ويكون الطريق هو، لا البحث عن الحقيقة، هذه المسألة الزئبقية، ولكن اهم من ذلك قبول امكانيات متعددة للحوار والبحث، وباستخدام لأكثر المناهج تطوراً، في حقل العلوم الانسانية، تلك التي تعطي الأولوية للنص الابداعي، وتستخدم في التعامل معه وساطات عدة. وتعترف، فعلاً، بوجوده خارج المقاييس والتنظيرات الجاهزة، وبمعزل عن القضبان التي يسيج بها النقد العربي البئيس كل كتابة سواء كانت خاذلة أو متفوقة او تتكلم صوتها الخاص. هوذا، بالضبط، الصوت الخاص، المتميز، المنفرد ما نبحت عنه، بعد ان ضعنا زماً ليس بالهين في كل الطرق، ولم نصل إلى اي طريق. والامر ليس بغية الانفراد بطريق مستقلة ولكن، ان نخرج بانفسنا نحو ما هو الصق بهوية التعبير. نحن نجهد، بعد، هذه الهوية وتتكالب لم لا نقول تنهالك على الاصطلاح الميت القطعي، ولأنه كذلك فهو سهل ولهذا فالتقسيمات (الحاسمة) القطعية، في نقدنا البئيس كثيرة متكاثرة ومن شدة ابتئاسها انها لا تعني شيئاً قدر ما تفيد وضعية محيطة على مستوى السلطة المباشرة تسلطها

ويسعى في (ديرة الحلم) نحو غريب المتروك او تتوله روحه في روح (محمد المهدي) وعذاباته الفاتكة، كما ليس غريباً أن يبدأ احمد عبد المعطي حجازي الابداعية الشعرية، مجدداً، باستنطاق السان ميشال وكومونة باريس، اما ذلك الذي حرثت ذاكرته الصناعات السد العالي بعد ان زكمت انفه بمجاري القاهرة - اعني صنع الله ابراهيم - فهو يؤلف (نجمة اغسطس) في سلم الرواية الشاحبة - الملققة. ولذلك يزهو الحلم وتعربد الروح في الخلاء الذي تصطف فيه مشانق (فيصل دراج) لتنفيذ الحكم في مخلوقات جبرا ابراهيم جبرا، وفي جوهره من خياله الروائي: وليد مسعود مرحى وليد!

ما يعينني ثانية وثالثة، وألفاً، هو أن العملية النقدية لا يمكن ان تكون الا مقاربة، اسلوباً في التناول، وطريقة في الطرح وان تقدم نفسها قراءة، وان فعلت اكثر من ذلك فهي ترجم في حق نفسها اكثر من اي شيء آخر. اننا نتحدث، ابداً، خارج نظرية الانعكاس التي تضم في تلافيفها العديد من المفاهيم والاحكام المتلبسة والمشوهة وكل التصورات المرتبطة بالنقد الروائي المدرسي. سيقال الثقافة التي لا معدى ولا مناص منها لكل ذي بصر وبصيرة في هذا الباب اي باب؟!

نحن لا بد ان ندخل الابداع من باب القراءة، اولا، وحين نقول قراءة نقصد او نزعج وجوداً استثنائياً لا يجاكي كما لا يجاكي، ليكون تركيباً للبرئ واللامرئي - وارفض هنا استعمال هذه ال (معاناة) واقول مع اللامي: (مجاهدة النفس المستميتة). ثم ان نوقف التعامل مع النص الابداعي على مستوى الاحشاء او البصل، والبصل ضروري ولا شك. العالم الثالث، الصراع الطبقي، البورجوازية الصغيرة، دائماً، لكن كيف، كيف؟ ان من ينتج هو ابن بيئته وطبقته، أجل، لكن ماذا بعد؟ كيف؟ وهل الادب هو الايديولوجيا، او اعادة انتاج الايديولوجيا، او هو، باحتوائه لذلك كله، افق آخر؟.

الصوت المنفرد، يقول ف. أوكونور. الكتابة: هو ذا الزمن الأول وهو خافت الصوت عندنا، ان لم يكن معدوماً تماماً، ويتواصل اللاحاح على اعدامه في استمرارية الكلام السائب. أمة ألفها الكلام فالكلام هو الفتح المبين (و) كان لسان العرب صاغة الكلام في الخطابة، والحكم، والخواطر والأخبار. واذ يحاول أنظون مقدسي ان يضع يده على الجرح، عندنا، بين الكلام والكتابة، هذه المحاولة الفريدة، ويليهِ أدونيس، يصعقان بعدم الفهم، ويصعق أدونيس أكثر منه بالاتهامات أو القليلات النقدية لأنه جرؤ على رفع عقيرته بالعصيان ورفض الكسل المتوارث في الكلام المهترئ، غير المؤسس، وبالذات، من أجل تأسيس كتابة تخر عباب زماننا نحن، تستنطق أشياءه، وتكلم بمفردات الجسد والشرابين، وتشكك في أن الانسان يشي فعلاً، على قدميه، تفلت من رقابة القاموس وسيف عسس العنينة وعلاقات العلة والمعلول. انهم يتكلمون عن الثورة والجاهير والصراع الطبقي، وقد يصلون الى حدود استنهاض همهم في

النقاش الصالوبي، ولكن حين يتعلق الأمر باقامة قطيعة مع حضارة الكلام والدخول في زمن الكتابة يصبح هذا من قبيل الممارسة الآتمة، ومن يستطيع أن يتصور أن القلم يسيل بالشهوة أو قد تنبت في رأسه شجرة، أو أن الكلمات قد تنفتح فيصير لها أعناق الغصون كما قد تتصاعد مثل المتاريس. انه التواطؤ، الواعي أو اللاواعي، أيضاً السلطة ليست هي الأنظمة الأوتقراطية أو العسكرية فحسب، كما أنها ليست مشروعية العنف، وحدها، ولكنها تتحول الى ارهاب مزدوج في تكريس السكونية وتوثين القيم (المستهلكة - المتحجرة)، وكما يخاف الحكام على ميكروفوناتهم يتلع الخوف (الأدبائية) من أن تصاغ عبارة واحدة خارجة عن المألوف. فنحن نقرأ، نتكلم، نكتب، نفكر بالذاكرة الغائبة وقد انسلخت من التاريخ، وصارت، بمفردها، تاريخاً من الطوبولوجية المكرورة رغم الاستهواء والغواية اللفظيتين لجحيم الشعارات والملحقات والعناوين. وعندني أنه بات من المستعجل طرح السؤال عن ميقات ولادة المبدع العربي لأن الكتابة باللغة العربية وحسب قواعد مدرستي الكوفة والبصرة ثم كل الرسوم البلاغية التي نحتها الجرجاني وابن جني لا يعطي مبدعاً بالضرورة إضافة الى أننا، هنا، أو هذا ما أفترض، تتجاوز المنشورات التي كل مطمح أصحابها أن تقرر في المدارس وتوجه لتربية الناشئة!.

أين هو هذا المبدع، ما هي هويته، وكيف يفهم ونفهم الكتابة؟ وقديماً كما هو حديثاً تجاوزت هذه المسأليات على اعتبار أنها من قبيل المسلمات أو البديهيات وعلى أساس تحققها في وجود قائم بذاته وبالطبع، مدمج في البنيات العامة وقليل منها مدمج في الانتاج الخفي. وعملية القفز فوق هذه المسألية، بالذات، تلغي من الحساب، بالطبع، التساؤل عن الشكل أو لغة التعبير أو الأدوات الابداعية عموماً، إذا الذاكرة الغائبة هي الحاضرة، دوماً على مستوى التعبير والعبارة ليست مكابدة ولكنها طلاء خارجي، والمهم، في أحسن الأحوال، هو القول ب (التعبير عن الواقع) دون أن يوضع هذا الواقع في مجرى الاستفهام والاختبار. لأنه إذا كان يخضع لحكم التحليل والمجدل في التنظير السياسي فينبغي أن يتم تنويره في قفزة نوعية حين ينقل الى النص الابداعي، ويخضع لشروط ودواعي هذه النقلة.

ثم اننا، وقبل التوجه للبحث عن اي نظرية للكتابة العربية، هذه المهمة العانس، نحتاج، الى جانب اشراك انفسنا في الصخب الهادر في الحضارات الاخرى، نحتاج، الى اكثر من مجرد التشكك او اعادة النظر في محتوى الحضارة الكلامية التي تجري في دننا، واشد من مجرد لغو متنطع بالرفض، واي رفض؟! وهكذا فنحن اما لا ندرك او نفرض الطرف عن التناقض الصارخ سيما حين نكون من اللاهجين بالعصرية والحداثة: التناقض بين ان نطالب ونمارس زلزلة قيم وتراكمات معرفية وانماط سلوك ولكن نواصل، باستماتة، اعادة انتاجها في الكتابة وطاقاتها الخيال شعرياً كان أم

نثرياً، ونجزع من خلخلة العلائق التي حاولنا نقضها في الذهنية المتكسلة، المحمولة، ربما على قرن ثور!

و حين تملكنا الشجاعة تتقدم قليلاً لفك البناء الميتافيزيقي، والتاريخي، والميثولوجي، ولكننا ننحي خشوعاً في محراب العبارة المقدسة والقيمة المتوارثة. هذه العبارة القاموسية، اللوثة والجرثومة التي تغل كالقمل في جلد ما يكتب، ولا تقول الكتابة. قلت لأتحدث اللغة المعتصبة، لغة غاصت في اصابعها، جذوعها، وأظافرها، ولم يبق منها الا مسام مفتوحة محتنقة فالامر سيان. ما يخرج من المسام هو الرشح، هو بقية الكلام، هو الخطاب المقت هو فرقة تعطي بعض الصدى وتروح في تلاش واهن، هو بعض الجرح ونزيفة لأن الجرح محبوء، الجرح هو الجوهر، الشرح الاول الذي مس الارض، حرق الدهر، الذاكرة، ولم يكن له التام ولا انغلاق ولن ينغلق كما لن يكف النزيف، كما لن ينقطع الصمت الدوي العميق، كما لن يكف امتداد الجذور وعناق الجذوع ومواكب الخلق الغابوي - تلك هي اللغة.

لا أعني بتاتاً، اني اضع اللغة في صدارة الكتابة او انيط بها مهمة تشكيل بنائها الاساسي. ومن الأکید انها جزء فاعل وجوهري فيه بل اريد ان ادفع بالطرح بعيداً بما يجعل الكتابة تأسيساً لزم جديد وللابداع من حيث هو خلق، أي نزع صفة القداسة عن الماضي وعن الحاضر ايضاً. هذا الذي يجمد اعيننا في ما هو قائم، ثابت، ومشاهد بعين واحدة، وباعطاء القدرة للذات خارج الانعكاس المباشر او غير المباشر. الكتابة هي ان نكتب او لا نكتب، اي هي دعوة الى الغاء الشفوية الساذجة اي اللفظ اللفظي، او الغاء المروي والمعتاد كسلعة فائضة في مجرى واقع مثبت، ونقض المفهوم الذي لم يجعل الكاتب، عندنا، ومنذ بداية الوعي القومي وتأسيس اشكالية البحث عن الوجود العربي، سوى مصادر او ملاحق لما يتحقق على صعيد اليومي، اي اقتناده للرؤية التكوينية الشاملة او ما يمكن تسميته تجوزاً تتوفر استراتيجيتها للكتابة تبعد من حسابها تقديم كل تنازل للآني، اي كل تملق للمعطي المباشر، او للمقولات الموصوفة في افاريز الانظمة. وهذا يدفع، بالضرورة، الى احتواء خطاب الطبيعة في لسانية متجددة تحترق، ما يسميه محمد برادة، قوانين شرطة الاستطيقا ويكون علينا، تأسيساً على ما سبق، ان ننظر إلى العملية الابداعية من حيث هي انتاج خلاق لكلية الذات والواقع المتوالدة باستمرار بما يؤدي إلى تسفيه الثنائية الفجة: الشكل - المضمون/ الذات - الموضوع، والنقد المعياري المتهافت الذي يصف الكتاب ونتاجاتهم كقطعان الغنم ليصنفهم في مراتب السلبية او الايجابية!. ولان الغرب امتلك سر المدنية، وحطم قبل ذلك سلطة الاقطاع والكنيسة، ودخل في مشروع التنوير الشامل، فقد امتلك، كحق له وكجزء من الصراع حول حق التعبير والوجود لافراد، امكانية طرح السؤال تلو السؤال، وتلاحق مشاريع تأسيس نظريات للكتابة في (علم امكان العلم) او الاثر عند جاك

دريدا، وفي تحليلات بارت، سوليرس، وسواهم. اما نحن فنظل في حل من هذا البحث لأنه، مرة أخرى، كما يقول الوصاة على حق المبدع اللامشرط، شكلاية، بدعة، ضلالة، ذات العقلية ما تزال قائمة. والشكلاية التي ينبغي ان تدان هي التي تكنفي برسم الاجواء والشخوص والاستثناء التعاطفي باسم رصد المجتمع ومشاكل هذا المجتمع ثم بان الكاتب غير الشكلاية اليوم ليس الا واعظاً او محبراً ولا مكان له في حقل الابداع. اقول هذا حتى اتجنب استعمال لفظة الحداثة التي اما اصبح دمها مستباحاً او بات كل من ينطق بها يجزئها فتكون، مثلاً، في التكنولوجيا، ويبيير كاردان، وسايكو، ولكن لا مكان لها في الدساتير والأشعار والروايات.

الشكلاية - الحداثة، نعم، حين توضعان في سياقها وليس انا من عليه ان يحدد هذا السياق، ولكني احاول، مع آخرين، اعادة طرح السؤال لاثارة الاهتمام بقراءة السؤال الكتابة. وتبقى، بعد هذا وذاك، مهمة الكاتب مشمولة، ولا تجزئى فيها أو مساومة. هذه المهمة اجد في تعبير انطون مقدسي خير تحديد لها: (الكاتب أديباً كان ام مفكراً هو اليوم اكثر من اي يوم مضى صوت الشعب، وعليه ان يقول وجوداً اسكتته التقنية، تقنية الحكم وتقنية معالجة الأشياء، والكتابة هي حيث كثافة الوجود تستحيل شفافية).

الزمن الروائي

في أي زمن تتحدث الرواية العربية، وعن أي زمن، وبأي صوت تنطق، وما هو خطاب هذه الرواية؟

هذه جملة من الاسئلة التي نراها مندرجة في مستلزمات الطرح لكونها تحدد الهيكل العام للكتابة الروائية العربية، ومن شأن اثارها ولو مجرد الاثارة البدء في تلمس المسأليات الاساس التي تتلبسها. وليس من هدي باي حال، وضع اليد، هنا، على كل واحدة من هذه القضايا، ومعالجتها المعالجة النقدية المطلوبة، فهذه مهمة منوطة بجمهرة الروائيين والنقاد العرب، جميعاً، في حوار مشترك وليس في مجرد اجتهادات او تأويلات فردية. ولكن الامر العاجل في نظري، هو ان هذه العملية اذا ما تبيأ لها ان تتم، تستدعي، ضمن امور اخرى، استعادة الذاكرة الغائبة على مشرحة النقد، وتفكيك رموز الذات العربية القديمة - الحديثة، ثم القول السلطوي بسطوته وبرامجه وانتكاساته.

و حين نفع ذلك سنجد ان مشروعنا سيفدو قريباً من التحقيق مستبعدين، في اول خطاظة يمكن ان نقتربها انبار (النشر النقدي) ويكون من مهمتنا اذ نعيد قراءة النص الروائي ان نقرأ ذواتنا وواقعنا الملق والمصوب العينين.

ورغم عسر المسعى فبالامكان القيام ببعض المقاربات ورض جملة من الملاحظات، التي، وان سقناها بتجريد وتعميم قاصرين، من غير شك، الا انها بنت تصور عام انجزته قراءة متابعة

ومتصدداً لما يمكن ان نسميه اليوم، ودون تردد، بالرواية العربية. نبدأ بان نغامر بالتقسيمات التالية، غير الملزمة، ولا النهائية:

- رواية الاخبار والطرائف: بوسع القارئ لعشرات الكتب التي تحمل عناوين (رواية) ان يتبين انها وتكسد الاخبار والحكايات التي تسرد بوجود السبب والقرينة او انعدامها. واذا كان الجميع يعلم ان الرواية التقليدية، في اسط تعريف لها، هي حكي سردي لعالم محدد، فانها عندنا تتحول الى تلاوة خبرية للشخص والواقع في عيانيته، في تجسدهات الخارجية المطالبة بالاستقراء والانطاق. وينحصر الفعل الروائي، هنا، في الرقص وراء حادث عام، ملفق، اصطناعي، او حاصل بحكم القدر او الضرورة. والادهى من كل ذلك ان كل شيء ينجز بطريقة اتفاقية ويكون خاضعاً لمنطق الطرفة فيتم، بلا وعي الكاتب او وعيه، تأكيد ان الادب هو الامتاع والمؤانسة. ولا شك ان هذه النزعة الاتفاقية هي جزء من الموروث النفسي - التاريخي، وناجئة عن تصور بدائي لفهوم البطل والبطولة التي تنتقل الى النص كاريكاتورية، متهافتة، كما تنتقل معها سائر التفاصيل والجزئيات لنفخ الصفحات او الايام بكثافة معدمة اصلاً. ونرى ان المستحسن ان نسمي هذه الاعمال بالروايات بالمعنى اللغوي للرواية ومنتجها ب (الرواة) وليس الروائيين دون ان نجانب الصواب بتاتا ما دام شاغلهم الألتصق بطبيعة اعمالهم هو تقصي الاثر والشخص وحسب، دون تقديم كثافة فنية ومضمونية، ولا بناء العالم الروائي وملء فضاءه بالقيم والدلالات التي تبض بها الحياة وتغلغل في النفوس.

روايات الخيبة والانوات المريضة:

وهنا ترتع الاحاسيس المختلة والمهزوزة، وتستقطب العالم الروائي شخوص اكثر منها نماذج تعيش تحت ضغط طوفان من المكبوتات، تقف فيها الاثني، كنعويض عن الحرمان واللذات المنوعة، وكأنها تمسك بين يديها دفة التاريخ، او انها مصباح علاء الدين المفقود.

وكان من المؤمل ان ترتفع الكتابة الروائية في هذا المضمار، الى مراقبي الكثافة والايحاء واحتواء قيم محددة لو ان التعامل مع دواعي الخيبة كان يصعد الى المستوى الدرامي - السيكولوجي، ومن خلال الاستبطان لدواخل الشخصيات والنفوذ الى عمق الارضية التي تقف عليها بيد ان ما يحدث غالباً هو سلسلة من المناجات والمناجاة المازوخية التي يهيمن عليها طيف امرأة تتحول الى مصدر لاحتلاب مزيد من الاوهام وتفجير مثيل لها من المكبوتات. وفي اللحظة التي يلتقي فيها الكبت العربي بالحضارة او المدنية الحديثة، كما سميت من البداية، لا يستطيع كتاب المشرق والمغرب، معاً، ان يكتشفوا اكثر من العضو الجنسي للمرأة - (حين ضاجعتها كنت اركب فكرة باكملها) يقول احد اعلام الكبت الروائي على ان الجنس او الشاعر الخائبة المتصلة

بالمرأة ليست هي الازمة الوحيدة لهذه الانوات المريضة. فقهر الطبقات الوسطى واحباطاتها الشاملة لأفرادها تتحول الى مركبات تتخذ اشكالا متباينة في السرد الروائي.

انني اجث عن الزمن الروائي الذي يصعد، يكثف، يصنع نسيجه الخاص من عمق الخيبة والكبت النفسي والاضطهاد التاريخي لكنني لا ارى سوى اعادة انتاج للحالات الشائبة شائبة.

- الرواية الاشكالية: والى هذا الحد نستطيع الاندفاع في القول بامكانية الوقوف على شيء جدي، واع، وابداعي في حقل الرواية العربية على ندرة هذه العملة. فهنا نجد التخطي للعلاقة الميكانيكية بين الواقع والنص، وبين الفرد والنموذج. ونستطيع الزعم باننا نعيش الزمن الروائي الحقيقي الذي لا يتوقف عن النمو والتشكل، وحيث نلاحظ موروث روائي العشرينات، في الغرب مستوعباً، وهو ما يجمله ميشال زيرافا في حديثه عن الفن الروائي الذي لا ينطلق من فكرة ملاحظة الحياة ولكن الذي يقوم بشكل اكثر مباشرة، على فكرة معينة عن الانسان في لحظة معينة من التاريخ الاجتماعي، ويجعلنا ازاء مزاجية بين مقاربتين: واحدة من طراز سيكولوجي، والثانية من طراز استيطي وتتخذ موضوعاً لها بناء اشكال الرواية.

ورغم اني استنكف، تقريباً، عن ذكر الاسماء الا اني لا اجد مناصاً من الالحاح بشدة على القراءة التي يمثلها جبرا ابراهيم جبرا، وضع الله ابراهيم، حيث يتم تشييد بناء روائي محكم التماسك وتداول انضج التقنيات التي تدمج في رؤية محددة ومنهجية لصياغة العالم ورصد واستبطان الانسان بابعاده التعددية.

الرواية الاشكالية، عندنا، وعلى محدودية النماذج التي تدرج ضمنها تلتقي فيها فعاليات الحكي السردية والمزج بين الموقف والذات مزجاً تفاعلياً، وغياب كل نزعة تبشيرية لأن العمل الروائي يقدم نفسه كحصيللة منطلقة من العالم ومتقدمة عليه، وهذا التقديم هو وعي واقرار بالتركيبية في الفن والحياة وتعدد المنظور واسقاط النزعة الاختبارية المباشرة.

ان هذا الاستعراض المتعجل الذي قمنا به لا ينبغي ان يؤخذ على انه نهائي او انه ضربة لازب ولكنه يوجب عندي الخانات الكبرى التي يندرج فيها السرد الروائي العربي.

على ان اكبر قضية واعمرها في ما يخص الجنس الروائي هي مشكلة الواقعية، والقنوات التي تسرب فيها الكتابات التي تنزع هذا النزوع والتي يريد البعض منها ان يكون واقعياً يسبق الاصرار، وبعضها الثاني القليل جداً، الذي يبحث عن تشكل خصوصي للزمن الروائي الواقعي.

استهلكت الكتابة الحكائية العربية، لزمن طويل الشخوص والزمن والاشياء استهلكتا تكرارياً، وظلت مواقع التأزم والعقدات الكلاسيكية هي ادواتها. وبالطبع، فان نقداً استهلاكيًا موازياً كان ينمو حولها كالاغشاب الطفيلية بلا نفع تقريباً فيما

الكتابة القصصية الروائية رؤية مدمرة لها ولما حولها، ففي اللحظة التي نصل فيها الى حالة الانسجام والانضباط يكف الابداع ويمسى نسخاً او تهرجاً او تعلقاً مستحيلاً بالحياة، يسمى ادماناً على السأم، وما اكثر الكتاب المدمنين على السأم واجترار تجاربهم او اخيلتهم المقصوصة الجناح، ثم ما اكثر الكتابات التي لا يميزها عن الربورتاجات والادب الصحفي الا ما يضعه لها اصحابها من عناوين وتسميات.

وثة خطأ جسيم اقترف وما زال يقترف في حقي، واعني به الاهتمام بما يوصف بالفيض اللغوي والثراء اللفظي، وكذا القول باهتزاز البناء على اصداء كتابة هادرة. وغير خاف ان هذا لا يعد الا جانباً واحداً من معضلة الكتابة، اي من فهم كل طرف لمفهوم اللغة ووظيفتها في النسيج الادي. واحسب ان الرؤية الابداعية للمجتمع وللعالم ونوع المكابرات وسواها من المصادر

التبشيرية هي مدار الاهتمام والرسالة المتبغاة من النص. يبدو لي اننا في حاجة الى النص الروائي الجديد الذي لا يرشق بسهام النقد الاخلاقي او الايدولوجي المبسط المبسط حين ياخذ في البحث عن مرتكزات ومناط اهتمامات جديدة في الشكل ورؤية العالم. هذا النص النافر النافر عن الرؤى والقوالب الجاهزة المصنفة مطلوب لأنه يفلت من رقابة النزعة التسيطية للواقع، ولكونه يشتغل بالكتابة وادواتها المتجددة، التي كثيراً ما تهمل باسم التعبير عن هموم ومشاكل وتطلعات... كذا.....

هنا ينبغي ان نتوقف لنطرح الاسئلة على انفسنا ونتناول هذه القضية الشائكة: ماذا نكتب وكيف نكتب؟ واذا كنا نشد اي تطور او تغيير في الواقع فهل نفعل الشيء ذاته او نطمع اليه على مستوى النص. وعند بعضهم ان الكتابة العربية الجديدة، او الكتابة الحداثية ليست مستجيبة لوضعية اجتماعية او تاريخية، ولكنها نتيجة تأثر او اقتباس من الغرب، اي انها موجودة فقط، بسبب الثقافة وعند البعض الآخر يتم التعامل مع التجريب تعاملًا قديماً وقصورياً ويوصم بأنه نزعة شكلية بحت، مفتقد لجدل الواقع وما الى هذا من المقولات المفرقة.

بقي شيء واحد لم يلحق الكتابة الحداثية العربية في النثر والشعر معاً. وهي انها، لا قدر الله، من اساليب تسلسل الاستعمار الجديد والامبريالية والصهيونية!!!.

زمن بين الولادة والحلم: في مسيرة الكتابة التي شرعت فيها، على مسؤوليتي منذ بداية السبعينات نشرت، حتى الآن، ثلاثة كتب:

العنف في الدماغ (مجموعة قصصية - ربيع ١٩٧١).

زمن بين الولادة والحلم (رواية - ماي ١٩٧٦).

سفر الانشاء والتدمير (مجموعة قصصية - ربيع ١٩٧٨).

ويفترض الآن ان اتحدث عن تجربتي الروائية، وهو زعم كبير وباطل في آن. اذ احسب، قطعاً، ان ليس يحق لي الانطلاق في فضاء التجربة الروائية، اذ ان ما قمت به مجرد انحاز اول وان كنت شديد الاعتزاز به وما اراه مناسباً، هنا، هو الحديث عن كتابة اول سماتها انها اعتبرت، عند من حولوا لأنفسهم مهمة النقد، انها غريبة شاذة. لم تكن المسألة بالنسبة الي اختياراً ارادياً او نزوعاً مقصوداً لذاته في البداية بقدر ما كانت توجهها مفروضاً علي بطبيعة تكويني النفسي والفكري وبنوع العلاقة التي كانت تربطني بما حولي. وهكذا جاء ما كتبت، منذ البدء، شيئاً متفجراً اذا ما قيس بالكتابة الخطية السكونية التي وجد الى جانبها. وقد تمت وبنوع من التدرج، عملية او محاولة تفكيك القلب القصصي بالصورة المتواترة. فقد رفضت، سلفاً، ان احصر هذا الذي يمور في داخلي ضمن زنزانة محكمة الأقفال، كما رفضت هامش الحرية الذي يمكن لأي كاتب ان يتنقل فيه مؤقتاً. لقد فهمت الكتابة على انها تسبي على التجاوز المستمر ولذلك من السهل ان يقال عن كتابتي انها والواقعية في حالي انفصال وطلاق دائمين. جاءت

صدر حديثاً عن دار العودة

الاعمال الكاملة للشاعر خليل حاوي

١ - المجلد الاول

- من جسيم الكوميديا

- الرعد الجريح

١) اسم جديد هو اليوم مبدأ مرحلة جديدة حاسمة ٠٠٠ ان الكثيرين من الشباب الجدد اليوم يعيشون مواهبهم من خلال شعره وطريقته.

علي الجندي

٢) خليل حاوي هو الشاعر الوحيد الذي لفت نظري في العالم العربي. انه شاعر له "قد وحد" ٠٠٠٠ وهذا شيء نادر الوجود عند شعراء الغرب والشرق المعاصر.

بيتر باخمان

٣) أبرع الشعراء المحدثين في ابراز وظيفة الرموز، وأحرصهم على البناء المنكامل. الشعر عنده مواقف استشهاد يقضي احدها الى الآخر.

احسان عباس

٤) ويعود الشاعر الى ممارسة وظيفته الاصلية الاولى ٠٠ حين يكتشف بحدسه حاضر الحضارة ومستقبلها، ويعود مجدداً نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي.

ريتا عوض

٥) خليل حاوي ٠٠ خالق القصيدة الطويلة في الشعر الحديث ٠٠ عشرته صعبة على البعض لانه لا يجامل.

اديب صعب

٦) يتحول "شعر خليل حاوي" الى كيان موضوعي مستقل عن صاحبه ٠٠٠ هذا الكيان هو أرقى مراحل الخلق الفني.

غالي شكري

الثقافية هو ما يوجه اللغة الى هذا النحو او داك .

ومحين اقدمت على كتابة (زمن بين الولادة والحلم) لم اطلب تأشيرة من أي وسط ادبي او نقدي ، كما اني لم افعل شيئاً من هذا في رواية ثانية هي قيد الانجاز . ولم يكن يعينني في شيء ان يدرج ما ساكتب في الرومانسية او الواقعية او الرمزية او اي تصنيف مذهبي متجاوز مع رفض مسبق ومتشجع للزعة الحكائية وللسردي التقليدي وان تم تضمينه بتفكيكه والسخرية منه .

ان الانقلاب على الشكل ليس عملية صنعة ولكنه يتولد بالحث عن انقلاب على التصور السائد للحياة والموجودات ، والعلاقات القائمة بينها . ويتصور العديدون ان التجريب الشكلي عملية مستقلة بذاتها ، منفصلة عن جذورها في رؤية الواقع والعالم من حولها . وانه تبعاً لذلك ، يعكر صفو تأصيل التجربة وبلورة الرؤية الفعلية والنضالية ، وغير خاف اي مجانبة للصواب في استبعاد العلاقة الجدلية القائمة بين ما يسمى بالشكل والمضمون ، فالتكافل والتواشج قانون وجودها . ثم لا بأس من الاضافة انه من المستبعد بث مضمون متقدم ضمن أطربالية مهترئة .

هل من الضروري ، بعد هذه الاشارة الى التداخل الذي يحدث بين انماط التعبير بما يولد النص المتوحد الذي تتناسل فيه الاجناس الادبية بكيفية مسترسلة ولا عسف فيها او اصطناع . والامر هنا لا يتعلق باحتذاء اثر الكتابات الجديدة في فرنسا او غيرها . واشدد على هذا النفي كي اشدد على الغاء النقد الذي يرفض لنا ان نجد ونحرق الطقوس ويفرق في تقديس اعلام ونتاج حضارة الآخر . ولكم ان تلاحظوا اي حالة تحاط بها عندنا عطسة من الطاهر بن جلون او محمد خير الدين ، وهما ، ولا شك ، كاتبان مجيدان .

مرة اخرى فان المسألة ابعد من ان نتحدث عن تجربة روائية . اذ فضلاً عن ان ممارسة من هذا القبيل تشبه كتابة واجب مدرسي فانها تتعداها الى ضرب من الحاشية على الكتابة ، في حين ان الكتابة قائمة ، ان النص موجود ويوجد ، منفرد ومخاطب ، ولا ينبغي ان يحيل الى غيره . كل الاحالات المرجعية والاسقاطية متضمنة فيه ، ولا يوجد ، بالتالي ، اي نص خارج الواقع ، ولا اي شكل منفصل عن زمن الرؤية المتغيرة .

خارج هذا الزمن يبقى الاكتظاظ الحكائي والحديثي ، وترادف الضمائر ، وتصيد وقائع وازمات بهدف تصوير الواقع او توقيع التصوير او ما شاكل . وبهذا الزمن نستطيع الدفع بعيداً بتصوراتنا واقتراحاتنا النقدية خارج صيغة ما يلائم العرب او لا يلائمهم حتى لا نكرر خطأ السابقين الذين ظلوا يبحثون في القرون الغابرة عن وجود بالقصر للقصة والمسرحية والرواية . واذ تنفسح الحدود والقيود في التجارب الابداعية وتبقى بالطبع الرسالة العميقة لها من حيث هي خطاب من الانسان للانسانية . يكون زمن الرؤية المتغيرة هو البيت الحلال الذي على المبدع العربي ان يطوف حوله ليل نهار .

شركة خياط للكتب والنشر (ش م ل)

٩٢ - ٩٤ شارع بلس - ص.ب ٦٠٩١

بيروت - لبنان - تلفون ٢٤٤٩٩٨

يسرها ان تقدم

الموسوعتين الكبيرتين

موسوعة الشعر العربي

الشعر العربي في شتى عصوره ومناطقه منذ العهد الجاهلي حتى عهد النهضة العربية الحديثة .

٢١٥ شاعرا من العصر الجاهلي

٩٠ شاعرا من العصر المخزومي

٢٤٥ شاعرا من العصر الاموي

٥٢٤ شاعرا من العصر العباسي

٢٧٠ شاعرا من العصر الاندلسي

٤٣٠ شاعرا من عصور الانحطاط

٢٩٢ شاعرا من عصر النهضة العربية

شعراء عديدون من العصر الحديث

دراسات قيمة عن كل شاعر ، حياته ، بيئته ، شعره ،

عرض مشوق لافكار الشاعر واغراضه ومقاصده .

في ٢٢ مجلدا ضخما تضم الشعر العربي قديمه

وحديثه ، كل مجلد يقع في ٦٥٠ صفحة من القطع

المتوسط .

ديوان الشعر العربي كله بين يديك في مجموعة

واحدة تصدر اجزاؤها تباعا .

موسوعة الفن العربي

... الفن والتزيين وهندسة الماضي المعمارية

في ٢٠٠ لوحة اكثر من نصفها بالالوان ، تضمها ثلاثة

مجلدات كبيرة ، اصدرتها مكتبة خياط للكتب

والنشر في بيروت وباريس ، وهي اجمل هدية عن

الفن الاسلامي ، من تصوير وتصميم « بريس دافين »

الذي كان قد درس طوال اعوام مظاهر الفن العربي ،

ليخرج هذه الموسوعة عن اجمل آثار العالم الاسلامي .

تحفة رائعة تزين مكتبة بيتك او مكتبك ،

وتصور ادق ما توصل اليه الرسامون والزخرفون

والناقشون الاسلاميون والعرب في العصور الماضية .

اطلب الموسوعتين من شركة خياط للكتب والنشر ،

شارع بلس بيروت ، او من فرعها في باريس :

Les Editions KHAYAT 25, Rue Berne

75008 PARIS Tél : 293 - 68 - 33